

لنتعارف

وأنا أومن بأنه سوف لا يستعصى علينا ذلك . ولكننا سنصطدم بعقبة بديهية هي من أين نبدأ العمل . فإن إحاطة المرء بأمر ما ليست كافية لتضمن له السير الصحيح فيه ، والحصول على النتيجة المتوخاة إلا إذا عرف من أين يبدأ أو يبدأ به . هذه البداية هي هنا . هي في تعارفنا . في التعارف بين الفلسطينيين والكويين والمصري والسوري والعراقي والحجازي التعارف الذي هو عامل تنمية روح الثقة ، وسبب تقوية روابط الشعور القومي . وهذا التعارف لا يكشف لنا في الحقيقة عن جديد نجهله فيما بيننا ، ولكنه التقاء بعد طول غيبة اقتضتها الظروف الاستعمارية ونجحت إلى حد بعيد في التفريق بيننا حتى رحنا نظن أننا أم متفرقة ، وشعوب متباينة ، ويخيل إلينا أن كل مشروع نقوم به لـ كـم الشمل إنما هو أمر صعب المنال لأننا بذلك إنما نجتمع أمماً متباينة الأحلام ومتباعدة النزعات والأعراق ، لأننا أمة التأمّت أشلائها التناثرة من جديد لتكون جسماً صالحاً تنبعث فيه الروح والحيوية ، ويقوم على أصول من الدم ، واللغة الواحدة ، والتاريخ الواحد ، والشعور والتفكير الواحد .

هذا التعارف هو نقطة البداية في دائرة الإصلاح العملي وهو متيسر لنا في حدود واسعة . فهو متيسر للطلاب الجامعي في جامعته ، وللبعثات العاملة في دوائر اختصاصها ، وللتاجر في تفرقاته ، وللصحفي في جولاته ، وللزائر في زيارته مهما كانت وصفيته وحاجته . وإني أخص بالذكر بعثات القائمين على الثقافة والتعليم من هيئات ومدرسين ومدرسات في جميع البلدان العربية ، حيث هم الطليعة الأولى الواعية التي وصلت إلى درجة من التهذيب وبعد النظر ما يجعلهم قادرين على خلق جو التعارف والتفاهم خارج نطاق العمل المدرسي ، ونظراً لما في رسالتهم من تكاليف قومية تستوجب عليهم إثبات شخصية الأمة العربية في نفوس الناشئة كوحدة لا تتجزأ . إذن فلنتعارف ، ولنتقارب ، ولنستغل كل فرصة تجمعنا في المدرسة والبيت والشارع والمقهى والنادي والملاعب ، لتبادل الآراء ، ولتصالح شارحين نفوسنا ، موضحين أمانينا ، بائنين آلامنا ، بلا جفوة ، أو كلفة أو انطواء . ولنسكن متسامحين ، متعاليين بالغاية الشريفة عن دنيا الأمور الشخصية والفردية الطفيفة بقدر المستطاع . لتصالحني وأصالحك . ولا فرق بين أن تمد أنت يدك أولاً أو أمدّها أنا ، مادامنا نؤمن بفكرة الإصلاح ، وما دمنا أننا وأنت نقيس الأمور بمقياس من النضوج والخلق السامي لأننا من هنا نبدأ .

الكويت — المدرسة الأحمدية — عبد الرحمن الربيعي

للكاتب فضل كبير في توجيه القارئ توجيهاً إيجابياً . أو إثبات أمر له . أو تنبيهه إلى فكرة قد يكون محيطها إحاطة محملة مختلطة . وهذا التنبيه البسيط إلى حقائق الأمور يتطلب من الكاتب الأديب دقة ملاحظة ، وكفاءة أدبية تتمثل في سيطرة الكاتب على القارئ ، والتأثير على عواطفه بأسلوب إنشائي متمتع ، حتى أنه يستدرجه ويجعله يشاركه عن طوع واختيار مشاركة فعلية فيما يرى ويحس ، وحينئذ تحول إحاطته المحملة إيماناً عميقاً في موضوعه مبنياً على أسس من المنطق الأدبي السليم القائم على صدق الواقع . لأن الكاتب يتخذ مادة أدبه مما حوله من وقائع وأحداث ، ويستوحى أفكاره من محيطه وما فيه من حركة وسكون . والوقائع والأحداث التي حولنا اليوم والتي تتعلق بنا كأفراد مرضى ، وبمجموعتنا كأمة مصابة في كيائها ومعنوياتها هي لاشك مادة موضوعنا الأول الجدير بالمعالجة والدرس حيث أن المبادرة بتقويم النفس ، والبحث عن وسائل الإصلاح الوطني هي أيضاً الجزء الأول والأهم من مظاهر تأدية الرسالة الإنسانية السامية التي يحملها الأدباء على الأخص .

ولجمهرة الكتاب مقدرة على سرد أسباب تأخرنا هذا ووصف الأوضاع الراهنة وصفاً صادقاً منتزعا من حقيقة آلامنا في فترة تاريخ حاضرننا النيكود . ولكننا قد أسهبنا في ذلك وأطلنا حتى استنفدنا الحبر والورق والوقت الثمين ، ونسينا أن بيان نقاط الضعف وإيضاح أسباب الانحلال بكتابنا الأدبية الكثيرة التي لا تحمل إلا طابع الوصفية المجردة ، والنقد الجامد الخلو من التوجيه ، إن هي إلا الخطوة البدائية من خطوات الإصلاح الناجز التي استوفيناها بهتاً وإقراراً . والخطوة الثانية هي الإيمان بفكرة الإصلاح وأغلب الاعتقاد أن هذه الفكرة قائمة في ذهن كل فرد منا مهما كان إيمانه ضعيفاً بمقدرات هذه الأمة ، ومهما بلغ به اليأس والقنوط . أما الخطوة الثالثة فهي تنفيذ فكرة الإصلاح عملياً وإبرازها من أعماق الخيلة إلى حيز الوجود متمثلة في نهضة شاملة تنتظم حياتنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وكياننا عامة ولكننا نلهم إعراضاً من الأدباء وتهاوناً في أمر هذه الخطوة ، واقتصرهم على غيرها بالقراءة والإفراغ في بطون الصحف والمجلات إلى درجة الإشباع ، تاركين ذلك على ما يظهر إلى تدبير من نسميهم الساسة أو الزعماء . وكان يحسن أن يثبتوا هم اشتراكهم الفعلي في رسم خطوط الإصلاح العريضة ، وفتح طريق العمل المثمر